جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

"علاقة التركيب بالقول البياني عند الجاحظ"

إعداد
د/ زينب محمّد المحمود
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قطر، قطر

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

علاقة التركيب بالقول البياني عند الجاحظ.

زينب محمّد المحمود

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قطر، قطر.

البريد الإلكتروني: aseela_252@hotmail.com

الملخص:

يسعى البحث لدراسة علاقة التركيب بالقول البيانِيَّ عند الجاحظ، وذلك من خلال الحديث عن منهج الدلالة والنظرة الديناميكِيَّة إلى المفردات، وبيان علاقة الكلام بتوصيل المضمون المنطقِيَّ والنَّفسِيَّ، ومن ثم عرض الرُّؤية البيانِيَّة عند الجاحظ، من خلال توضيح الخصائص اللُّغوِيَّة والبَلاغِيَّة للأقوال البيانِيَّة، التي تتمثلت في الحذف، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، وكذلك الحقيقة والمجاز التي تتفرع إلى الدلالة في التشبيه، والكناية، والمجاز، وتنطلق مشكلة البحث من التباين الحاصل في فهم الدلالة بوصفها علمٌ لغوي ومكون أساسي في تشكيل الجوهر الكلي للغة من خلال تآلفاتها وشبكاتها العلائقية مع مجمل مباني الألفاظ والمفردات وتراكيبها، وما تشتمل عليه من إشارات دلالية في ذاتها وفي مقامها وسياقها، ومن ثم تتمحور المشكلة في التباين الذي يدور حول التفريق بين علمي الدلالة الوصفي والتاريخي، ومناحي الاختلاف في فهم مقاصد مباني اللفظ وتراكيبه ودلالات المعاني في الأقوال البيانية عند الجاحظ والخصائص التي تطرق إليها، كل ذلك من أجل معرفة علاقة التركيب بالقول البياني عند الجاحظ، ويجيب البحث عن التساؤلات التي ترتبط بعلم الدلالة وقضاياه، ويُعلم أن جذور علم الدلالة لغوية في أساساتها، تختلف وفقاً لدرجات التعابير في التراكيب التي توضع فيها، كما أن الدلالة تأخذ بعضًا من مادتها من عمق البلاغة العربية وفنونها، وذلك في بحثها عن استعمال مباني الألفاظ وتحوير المعاني، ودقة استخدامها في مقاماتها أو الخروج عن استعمالاتها الحقيقية إلى المجازية، ويبرز في خضم ذلك ملاحظة المعاني غير الظاهرة التي فوق التراكيب، ويحاول البحث

استجلاء الغموض في التفريق بين علمي الدلالة الوصفي والتاريخي، وربط كل ذلك بأقوال الجاحظ البيانية وخصائصها فيما يتعلق بموضوع البحث الرئيس، وبيان ذلك عبر اتّباع المنهج الوصفِيَّ التحليلِيَّ.

الكلمات المفتاحية: التركيب، القول البيانِيَّ، الدلالة، اللفظ، المعنى، البيان والتبيين، الجاحظ.

The relationship of structure to graphic statement according to Al-Jahiz.

Zainab Muhammad Al-Mahmoud
Department of Arabic Language and Literature, Qatar University, Qatar.
Email: aseela_252@hotmail.com

Abstract:
The research seeks to study the relationship of structure to the declarative statement according to Al-Jahiz, by talking about the semantic approach and the dynamic view of vocabulary, and explaining the relationship of speech to conveying the logical and psychological content, and then displaying the declarative vision according to Al-Jahiz, by clarifying the linguistic and rhetorical characteristics of the declarative statements. Which is represented by deletion, separation and connection, brevity and redundancy, as well as truth and metaphor, which branch out into significance in simile, metonymy, and metaphor. The research problem stems from the discrepancy in understanding semantics as a linguistic science and an essential component in shaping the overall essence of language through its combinations and relational networks with The totality of the structures of words and vocabulary and their structures, and the semantic signs they contain in themselves, in their position and context, and then the problem centers on the discrepancy that revolves around the distinction between descriptive and historical semantics, and the areas of difference in understanding the purposes of the structures of words and their structures and the connotations of meanings in the rhetorical sayings of Al-Jahiz and the characteristics. Which he touched on, all of this in order to know the relationship of structure to the graphic statement according to Al-Jahiz, and the research answers the questions that are related to semantics and its issues, and teaches that the roots of semantics are linguistic in their

foundations, and differ according to the degrees of expressions in the structures in which they are placed, and semantics takes some Its material is from the depth of Arabic rhetoric and its arts, in its research on the use of word structures and the modification of meanings, and the accuracy of their use in their positions or departure from their real uses to metaphorical ones. In the midst of this, the observation of the unapparent meanings that are above the structures is highlighted, and the research attempts to clarify the ambiguity in the distinction between scientific Descriptive and historical significance, and linking all of this to Al-Jahiz's graphic statements and their characteristics regarding the main research topic, and explaining this by following the descriptive and analytical approach.

Keywords: Composition, Statement, Connotation, Pronunciation, Meaning, Statement and clarification, Al-Jahiz.

المقدمة

تنوعت آراء علماء اللغة العربِيَّة في تناولهم قضية اللفظ والمعنى، وزخرت مؤلفاتهم ومصنفاتهم بأقوال وتحليلات مختلفة، ويمثّل اللفظ والمعنى جوهرًا أساسًا في المنطوق العربي، فيعبر عن جوهر الكلام وتطبيقاته الفصيحة في منتجات المادة اللُّغوِيَّة، ونتج من جراء ذلك تتابعات حول قضية اللفظ والمعنى والتطور اللغوي، وتعددت المناهج اللُّغوِيَّة بوجود "علم دلالة الألفاظ"، فيحمل اللفظ الواحد معانٍ كثيرة، وينبع ذلك من مكنون اللغة وجوهرها الرئيس، ويشير إلى رصافة مبانيها، وسبك تراكيبها، وجزالة مفرداتها، وفصاحة أبنيتها، ودلالاتها المتعددة للفظ الواحد الذي توحي إليه، وأمام هذا الطرح تعرضنا لعلم الدلالة وأثره على تراكيب اللغة وعلاقته بالقول البياني عند الجاحظ.

مشكلة البحث

تنطلق مشكلة البحث من التباين الحاصل في فهم الدلالة بوصفها علمٌ لغوي ومكون أساسي في تشكيل الجوهر الكلي للغة من خلال تآلفاتها وشبكاتها العلائقية مع مجمل مباني الألفاظ والمفردات وتراكيبها، وما تشتمل عليه من إشارات دلالية في ذاتها وفي مقامها وسياقها، ومن ثم تتمحور المشكلة في التباين الذي يدور حول التفريق بين علمي الدلالة الوصفي والتاريخي، ومناحي الاختلاف في فهم مقاصد مباني اللفظ وتراكيبه ودلالات المعاني في الأقوال البيانية عند الجاحظ والخصائص التي تطرق إليها، كل ذلك من أجل معرفة علاقة التركيب بالقول البياني عند الجاحظ.

ويجيب البحث عن التساؤلات التي ترتبط بعلم الدلالة وقضاياه، ويُعلم أن جذور علم الدلالة لغوية في أساساتها، تختلف وفقًا لدرجات التعابير في التراكيب التي توضع فيها، كما أن الدلالة تأخذ بعضًا من مادتها من عمق البلاغة العربية وفنونها، وذلك في بحثها عن استعمال مباني الألفاظ وتحوير المعاني، ودقة استخدامها في مقاماتها أو الخروج عن استعمالاتها الحقيقية إلى المجازية، ويبرز

في خضم ذلك ملاحظة المعاني غير الظاهرة التي فوق التراكيب، ويحاول البحث استجلاء الغموض في التفريق بين علمي الدلالة الوصفي والتاريخي، وربط كل ذلك بأقوال الجاحظ البيانية وخصائصها فيما يتعلق بموضوع البحث الرئيس.

أسئلة البحث

يحاول البحث الإجابة عن جملة من التساؤلات المحورية والفرعية، أبرزها:

١. ما الفرق بين علم الدلالة الوصفي والتاريخي؟
٢. ما علاقة الكلام بتوصيل المضمون المنطقي والنفسي؟
٣. ما خصائص الأقوال البيانية عند الجاحظ؟

أهداف البحث

تتمثل أهداف البحث التي يسعى إلى تحقيقها بما يأتي:

١. التفريق بين علمي الدلالة الوصفي والتاريخي.
٢. تحليل علاقة الكلام بتوصيل المضمون المنطقي والنفسي.
٣. بيان خصائص الأقوال البيانية عند الجاحظ في التطبيقات التركيبية.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

١. التمييز بين علم الدلالة التاريخي والوصفي من خلال المعطيات اللغوية، واستعراض الآراء المتعلقة بذلك وذكرها.
٢. الإفصاح عن ارتباط الكلام بالدلالة المنطقية والنفسية وتأثير ذلك على المضمون.
٣. تحليل خصائص الأقوال البيانية عند الجاحظ من خلال نماذج تطبيقية من كتابه **البيان والتبيين**.
٤. تقديم دراسة جادة جديدة تفسح الآفاق أمام الباحثين والدارسين، وتضيف جديد للمكتبة العربية اللغوية والأدبية والبلاغية والنقدية. وإثراء مضامينها في هذا

المحور الأساس الذي يجمع بين علم الدلالة والبلاغة، والوصول إلى نتائج وتوصيات يمكن الاستفادة منها.

منهج البحث

اتّبعنا المنهج الوصفي التحليلي المبني على الاستقراء والنظر في المعطيات ومحاولة تحليلها وتفسيرها، وفي إطار دراستنا هذه محاولة النظر في علاقة التركيب بالقول البياني عند الجاحظ من خلال النماذج والتطبيقات، التي تطرق إليها الجاحظ في كتابه **البيان والتبيين**؛ بغية إظهار حقيقة علم الدلالة من خلال البيانات التي يتم استحضارها، وبيان خصائص الأقوال البيانيّة.

الدراسات السابقة

تفسح الدراسات السابقة آفاق رحبة وأرضية خصبة في معالجة موضوع البحث والمنهجية المتبعة في ذلك، وهذه دراسات ذات صلة بالبحث، وهي:

١. دراسة فاضل التميمي، "النقد العربي القديم والوعي بأهمية الأجناس الأدبية مقولات الجاحظ وابن وهب الكاتب مثالًا"، **مجلة العميد**، مج ١، العددان ٣، ٤، (٢٠١٢م).

تطرق الباحث في هذه الدراسة إلى النظر في المقولات النقدية وأطروحاتها عن الجاحظ وابن وهب، وبيّن التقاطعات التخصصية مع فكرة موضوع الأجناس الأدبية، التي لها منطلقات وأساسيات نظرية عبر الزمن والتاريخ، وحاول الباحث جاهدًا استقراء النقد العربي القديم الوعي بأهمية الأجناس الأدبية في المقولات الكتابية للجاحظ وابن وهب، والكشف عن تمثيلاته ومضامينه.

٢. دراسة سوادي زغير، "إستراتيجيات الفكر التربوي عند الجاحظ"، **مجلة آداب الكوفة**، مج ٢، العدد ٣٣، (٢٠١٧م).

تطرق الباحث في هذه الدراسة إلى الإستراتيجيات التي سار عليها الجاحظ واتّبعها في سبيل ترسيخ المبادئ العلمية، التي تقوم على مجموعة من المفاهيم؛

مثل: التفكير، والعملية، والتعليمية بمقوماتها العلمية، والتي حصرها الجاحظ في الشك المنهج، والتجربة، والاستقراء، والتثبت منها.

واستفادتْ هذه الدراسة من الدراسات السابقة في اهتمامها بمؤلفات الجاحظ، والاعتناء بجوانبها البلاغية واللغوية والنقدية، والتركيز في مادة الاستشهاد والاستدلال بمواضع الدراسات التي تركزت على الأقوال البيانيّة، والاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وهذه أوجه الشبه.

أمّا أوجه الاختلاف، فتتمثل بتتبع الخصائص اللغوية ودلالاتها البلاغية وتأثيراتها في الفهم والبيان، وذلك من منطلق علم الدلالة، بينما تناولتْ الدراسات السابقة أدب الجاحظ عمومًا، وأثره في التعليم وإستراتيجياته، وفكر الجاحظ النقدي ونظرياته في التعامل مع النماذج النصيّة.

هيكل البحث

يقسم البحث إلى خمسة محاور أساسية، ويندرج تحتها كثير من الفروع؛ بهدف الإلمام بموضوع البحث والإجابة عن أسئلته، وذلك على النحو الآتي:

أولًا – منهج الدلالة والنظرة إلى المفردات.

ثانيًا – علاقة الكلام بتوصيل المضمون المنطقي والنفسي.

ثالثًا – الرؤية البيانية عند الجاحظ، وتشتمل على:

أ. الخصائص اللغوية والبلاغية للتراكيب في الأقوال البيانية عند الجاحظ، وتم تقسيمها إلى الآتي: (الحذف، والفصل والوصل، والإيجاز والاطناب).

ب. الحقيقة والمجاز، وقسِّمت إلى الآتي: الدلالة في فنون البلاغة (التشبيه، الكناية، المجاز).

الخاتمة، وفيها: (النتائج والتوصيات، وقائمة المراجع).

أولًا- منهج الدلالة والنظرة الفاعلة إلى المفردات

يمثل علم الدلالة فرعًا أساسيًا من فروع اللغويات، فهو محط اهتمام كثير من علماء اللغات بمختلف توجهاتهم وأطروحاتهم ومقولاتهم، واختلف العلماء في تناول هذا العلم، وذلك لتنوع المعاني والدلالات، إضافة إلى الاختلاف الحاصل في مجمل الاصطلاحات التي يتطرق إليها هذا العلم ويدرسها على أساس تاريخي لا وصفي. وفي حقيقة الأمر، إن علم الدلالة التاريخي يدرس تغير المعنى من عصر إلى آخر، بينما علم الدلالة الوصفي يدرس المعنى في وقت زمني محدد من تاريخ اللغة وتحركاتها عبر الزمن، فتدور المرحلة الأولى حول التغيرات المعنوية، وتتمحور الثانية حول العلاقات المعنوية، أو من منظور آخر، يدور الشق الأول حول المعنى المتغير، والشق الثاني حول المعنى الثابت[1]، فتستكمل الصورة الدلالية للألفاظ ومتعلقاتها عبر علم الدلالة التاريخي والوصفي، ويخدم ذلك المنحى الدلالي للمادة اللغوية وأطروحاتها.

ويجسد تغيير الدلالة من حين لآخر ربطًا للفكرة بصيغة جديدة، أو ربط الصيغة اللغوية بفكرة جديدة، ويُلاحظ أن الأصل في كلمة منافق عند العرب من نافقاء اليربوع؛ أي جحر اليربوع يكتمها ويظهر غيرها، وانتقلت دلالتها إلى من أبطن أمرًا في غير ما يظهر، وجاء الفسق عند العرب من قولهم "فسقت الرُّطبة"؛ أي خرجت من قشرها، وجاء الشرع الإسلامي بالمعنى الجديد الدال على الفحش في الخروج عن طاعة الله جلَّ ثناؤه، وجاء القيام عندهم يدل على الإمساك، فقال شاعرهم:

خَيلٌ صِيامٌ وأُخرى غير صائمة تَحْتَ العَجاج وخيلٌ تعلُكُ اللُّجُما

١ تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م). ص ٢٤٠-٢٤٢.

وزادت الشريعة الإسلاميِّة النِّية، وحظرت الأكل والمباشرة وغير ذلك من شرائع الصوم، وجاء الحج عند العرب القصد وسبر الجراح، فقال شاعرهم:

وأَشْـهَدُ مـن عـوفٍ حلُـولًا كثيـرةً يَحجُّـون سِـبَّ الزِّبرِقـان المُزْعْفَـرا

وزادت الشـريعة الإسـلامية شـرائط للحـج وشـعائره[١]، وتغيـر معنـى كلمـة (الخَوَل)؛ بمعنى ما أعطاك الله من العبيد والنِّعم إلى إنسان غير منضبط، وكذلك معنى (العلق) الشيء النفيس تحول إلى الإنسان الغليظ، فتحول المعنى وتغير تغيرًا مخجلًا إلى المفهوم العامي. وكلمة (الأمي) في الإسلام من ينسب إلى العرب على غرار أهل الكتاب من النصارى واليهود، وتطور المعنى فأصبح من العرب أميين وغير أميين، وعند النظر إلى المدلول الضيّق عند العرب لكلمة (الشعب)، والمدلول الواسع الذي اكتسبته في العصر الحديث، ويدرس هذا التغير التاريخي من وقت لآخر عبر العصور، في شق علم الدلالة التاريخية، ويعد العلماء هذا التغيير الدلالي انطلاقًا من مبدأ النمو أو مبدأ الانحلال اللغوي الخاص بدلالات الكلمات في اللغة العربية.

ويُلاحظ أن العلماء لم يتطرقوا من الناحية التأصيلية إلى التنظير للعوامل المؤثرة في تغيير المعنى بالمنطلق التخصصي العام، ولكن اجتهد العلماء في توضيح عوامل التغير الدلالي من خلال الأمثلة التي تناولوها بالشرح والتحليل، وفي كثير من الأحيان يكتفون بالإشارة إلى ذلك والتلميح له، ويدّعي هرمان بول Hermann Buhlأن "التغيير في المعنى يلحق اللغة عن طريق الكلام"، ويتعلق هذا الأمر بالأداء اللغوي وتطبيقاته عند إنتاج الكلام وإصداره، إضافة إلى ذلك تحدث أوتو شترن Otto Stern عن تغير المعنى؛ بقوله: "إن معظم تغيرات

---

١ ابن فارس. **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. ط١. بيروت: منشورات محمد بيضون، ١٩٩٧م. ص٤٦.
ص ٢٤٠-٢٤٢.

المعنى تصدر عن رغبة المتكلم في التوفيق بين الكلام، وبين وظيفيته التي يستعمل من أجلها"[1]، وعلى ذلك فإن المنهج الدلالي برمته يركز في وصف الدلالات الأصلية وتتبع التغيرات التاريخية التي تلحق الجوهر الدلالي للألفاظ اللغوية، ويتعلق هذا الأمر بالنظرة الديناميكية التي ترتبط بحركة اللغة وتقاطعاتها مع غيرها من التخصصات عبر تاريخ الألفاظ واستعمالاتها السياقية.

ثانيًا- علاقة الكلام بالمضمون المنطقي والنفسي

يتأثر الكلام بخصوصية الاستخدام عند كل فرد، فلكل إنسان تجاربه وممارساته في الحياة، قد تتشابه حياة فردين من ناحية التجارب وتفاعلات الحياة، لكن لا يمكن أن يحصل التطابق التام بينهما، فقد يسمع الكلمة الواحدة شخصان من المصدر نفسه وفي الوقت ذاته ووفق الأحوال والظروف المشتركة نفسها، ويُلاحظ، عند الاستجابة، اختلاف الفردين في التفاعل والتعبير والتمثيل وحتى بناء التصور الاستعمالي لطبيعة هذه الكلمة، ويرجع ذلك للارتباطات النفسية وتكويناتها عند كل فرد، فيتأثر فهم الكلمة بالإيحاءات وظلال المعاني التي تكتسبها من ثقافة كل فرد وفكره، وهذا ما يقصده بول؛ بقوله: "إن كل خلق لغوي، وكل إعادة خلق لغوي ينتج من عمل الفرد، وإنَّه يظل من عمل الفرد"[2]، فمن الطبيعي أن الاستعمال والتداول من قبل الفرد يعيد تشكيل الدلالات ويصبغها بمميزات شخصيته وخصائصها، ومن الناحية الأخرى يُلاحظ أن عملية توصيل المضامين والتعبير عن الدلالات تتوارد وتتكرر في الظروف والمواقف المتشابهة؛ لكن تختلف الطريقة والأسلوب والأداء من فرد وآخر، ويتّصل ذلك بنفسية ناطق اللغة ومستخدمها، وينجم عن التوارد والتكرار تقارب الجماعة

١ حسّان، ص ٢٤١.

٢ محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، ط ٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م). ص ٢٢٦.

الكلامية وتآلف أفكارها لمجمل الكلمات والمفردات والعبارات والتراكيب المستخدمة في المواقف شتّى وسياقات الحال.

وتوحي كل كلمة بالمضمون المنطقي والنفسي، ويتمثل المعنى المنطقي الذي يعبر عنه الأصل اللغوي بالاستدلال الحقيقي الذي يمثله المعنى في المعجم، ويكون الاشتراك في فهم هذا المعنى واحدًا وقريب من بعضه بين الأفراد، ويختلف المعنى النفسي من ناطق لآخر على نحو واضح، وليس معنى ذلك عدم مشاركة المتكلمين في طائفة كبيرة من إيحاءات تعابيره وما يرتبط بها من دلالات، لذلك لا تستعمل المفردات بمعناها المنطقي من دون النفسي[١]، ويُلاحظ الارتباط الوثيق بين المعنى المنطقي والنفسي والتداخل الحاصل بينهما، يتّضح مما سبق أن علم الدلالة الوصفي يتركز على دراسة اللفظ في مرحلة معينة، ويكشف لنا عن تمثيلاته الدلالية وتجسيداته. بينما علم الدلالة التاريخي يهدف إلى دراسة تطور اللفظ عبر العصور، ولكن كل لفظ له علاقاته الضمنية والنفسية، ويُؤدي تكرارها وتواردها في الاستعمال بين الأفراد إلى تقارب المعاني وتوحدها في التعبير المقصود حول مجمل الأحداث والظواهر التي تستدعي أفعال الكلام وأداءاته.

ثالثًا– الرُّؤية البيانيّة عند الجاحظ

يدور البيان في جوهره حول الكشف والإيضاح والظهور، وهو أصول وقواعد يُعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بعضها يختلف عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على المعنى ذاته، ويُستطاع أداء المعنى الواحد بأساليب متنوعة في توضيح الدلالة عليه[٢]، ووفق ذلك، تختلف الطرق في

١ السعران، ص ٢٢٦.

٢ أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م)، ص٢١٦.

صورها وأشكالها وما تتصف به من خواص[١]، فيمثل علم البيان في جوهره علمًا أسلوبيًا يستخدمه المتكلم؛ للإفصاح عمّا في نفسه، ويصوغ ذلك في بنية لغوية معقولة ومنضبطة يتّجه بها إلى متلقٍ محدد ووجهة معينة، يمكنها فهم مقاصد ذلك، وتفكيك رسائله الدلاليّة، فيهتم علم البيان ببنية الخطاب الدلالية بوصفه علمًا تعبيريًا له دلالاته وإيحاءاته، فيستوجب فهمها وتحليلها وإعادة تركيبها في ذهن المتلقي، وترى الدراسات السيميولوجية أن الخطاب لا ينحصر في المتواليات الإعرابية، بل يتضمن دلالات معقولة ذات درجات خطابية دلالية تهدف للإبانة والإفصاح وتوصيل رسائل النصوص، ومن هذا المنطلق تدخل (السيميولوجيا) في اختصاصها كل ما له توجهات دلالية وبيانية؛ مثل: دراسة رولان بارت Roland Barthes للملصقات الإشهارية، ودراسته السيميولوجية للسيارة واللباس والأثاث، ودلائلية الطعام، فكل ما يعبر عن شيء فهو خطاب دلائلي ثم يوصف بأنه بياني[٢]، فالدلالة كامنة فيما هو لغوي وغير لغوي، تمثل في مجملها ومفصلها الصورة البيانية التي تُفهم عن طريقها.

ومن يدقق النظر، يجد أن الجاحظ سبق المحدثين في ذلك، عندما فرّق بين الخطاب اللغوي وغير اللغوي، فتحدث عن تفسير النُّصبة؛ قائلًا: "وأمّا النُّصبة، فهي الحالة الناطقة بغير اللفظ والمشير بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت ناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق،

---

١ عبد الرحمن الميداني، **البلاغة العربية**، ج ٢ (دمشق/ بيروت: دار القلم/ الدار الشامية، ١٩٩٦م)،ص ١٢٦.

٢ كريم مرشدي، "الرؤية البيانية عند الجاحظ"، موقع ديوان العرب، ٢٠١٧/٩/١٠م، شوهد في ٢٠٢٠/١/٢٨م، في:

https://www.diwanalarab.com

فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان"[١]، ويستدل من ذلك على الظواهر اللغوية وغير اللغوية.

رابعًا: الخصائص اللغويَّة والبلاغيَّة للتراكيب في الأقوال البيانيَّة عند الجاحظ

تناول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين كثيرًا من الفنون البلاغية: نحو البيان بتشبيهه واستعارته وكنايته، والمعاني بخبره وإنشائه، والبديع الذي قسّمه إلى: استعارة، وجناس، ومطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي[٢]. لكننا سنقف في هذا السياق على الخصائص اللغوية والبلاغية للتراكيب في الأقوال البيانيّة عند الجاحظ والتي هي وفق الآتي:

١. **الحذف**، تحدث الجاحظ عن مواطن الحذف، فقال فيما رواه هشيم عن يونس عن الحسن يرفعه، إن المهاجرين، قالوا: يا رسول الله، إن الأنصار، قد فضلونا بأنهم آووا ونصروا، وفعلوا وفعلوا. قال النبي صلى الله عليه وسلّم: أتعرفون ذلك لهم؟، قالوا: نعم. قال: فإنَّ ذاك، ليس في الحديث غير هذا. يريد: أن ذاك شكر ومكافأة، وهذا تأويل من الجاحظ، واستكمل؛ فقال: وكلم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز في حاجة، وجعل يمت بقرابة؛ فقال له عمر: "فإن ذاك"، ثم ذكر حاجته له؛ فقال: "لعل ذاك"، لم يزده على أن قال: فإن ذاك، ولعل ذاك؛ أي أن ذلك كما قلت، ولعل حاجتك تقضى[٣].

وتحدث الجاحظ عن الحذف أيضًا فيما كتبه أبو عبيدة ولما كتب أبو عبيدة إلى عمر جواب كتاب عمر في أمر الطاعون، فقرأ عمر الكتاب

---

١ عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج ١ (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م)، ص ٨٦.

٢ أبو العباس ابن المعتز، علم البديع (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠)، ص ١٤.

٣ الجاحظ، ج ٢، ص ١٩١.

واسترجع؛ فقال له المسلمون: مات أبو عبيدة؟، قال: "لا وكأن قد"[1]، يتّضح قيمة الحذف في الاختصار والتكثيف، فجاءت الألفاظ مقتصدة في مضمون خطابي قوي يجسد فحوى الرسالة.

ووظف الجاحظ العلامة اللغوية والإشارة وما يندرج تحت ذلك من دلالات تبليغية، فقال عنها: والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط، وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة؛ أي أداة مساعدة في فهم أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة. ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم[2]، ويعزز ذلك من القيمة المحورية لدلالة الإشارات وسيميائية لغة الجسد التي تهتم بها الدراسات الحديثة، ويعزز ذلك من درجة المقصدية وعلاقة التراكيب اللغوية ومتعلقاتها غير اللغوية في تدعيم الأسس البيانية للقول وتداولياته في مجمل منتجات نصوص الخطاب ومضامينها في مختلف السياقات.

١ الجاحظ، ج ٢، ص ١٩٢.

٢ المرجع نفسه، ج ١، ص ٨٣.

٢. الفصل والوصل

الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه[١]، فيستخدم الوصل إحدى أدوات العطف، والفصل يتخلى فيه الكلام عن هذا العطف[٢]، ويمثل ذلك سرًا عظيمًا من أسرار الجمال والبلاغة في كلام العرب، حتى أصبح معرفة الوصل والفصل حدًا من الحدود المعتبرة في معرفة الكلام الجميل البليغ.

وذكر الجاحظ ما قِيل عن الفارسي:" ما البلاغة؟، قال: معرفة الفصل من الوصل"، ومن أغراض الوصل أمن اللَّبس في المعنى، واستحضر الإمام الجاحظ ذلك، وتحدث عنه من خلال الأمثلة والتطبيقات التي ناقشها وحللها وربط فيها التراكيب بالقول البياني، فقال:" قال: ومرّ رجل بأبي بكر ومعه ثوب، فقال: أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علّمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا، وعافاك الله"[٣]، يتّضح مما سبق أن الوصل والفصل له أهمية قصوى في تطبيقات الكلام العربي، الذي احتاج أن يربط بين معنى ومعنى برابط، أو يقطع معنى عن معنى بقاطع يفصله عما سبقه، وهو في فصله ووصله يهدف إلى تحقيق غاية جمالية يسمو إليها؛ لأنه يحرص على أداء فكرته بوضوح لا لبس فيه؛ لتصل لجمهور المخاطبين لشكل بليغ له آثاره في أنفسهم.

١ الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق محمد خفاجي، ج ٣، ط ٣ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م)، ص ٩٧.

٢ حسن الجناجي، **البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع** (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م)، ص ٢٣٥.

٣ الجاحظ، ج ١، ص ٢١٩.

وتشهد النصوص أن الحس العربي النَّقي، كان يتوقع الوصل حين لا يجد وصلًا، ويبحث عن الفصل حين يفتقده، وكان يفاضل بين رابط ورابط[1]؛ لكي يستقيم الشكل مع المضمون المطروح في متن نصوص الخطاب اللغوي ورسائله.

٣. الإيجاز والإطناب

يرى الجاحظ أن من شروط البلاغة الطبع، وهو يعني الموهبة وعدم التكلف، وإذا كان الكلام صحيح الطبع، بعيدًا عن الاستكراه، ومنزها من الاختلال، مصونًا من التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة. وقد ركز الجاحظ في شرط الطبع عملًا بفلسفته الطبيعية التي تفسر الفن كما تفسر المعرفة والأخلاق بالطباع، كما صدر في آرائه جميعًا عن مذهبه الاعتزالي الوسطي المنزلة بين المنزلتين، وطبق ذلك على البلاغة والفصاحة، فعدّ خير الكلام ما وقع وسطًا بين الوحشي والسوقي، وما وقع وسطًا بين الإيجاز والإطناب[2].

وقال له معاوية: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ[3]، وقال لي ابن الأعرابي : قال لي المفضل بن محمد الضبي: قلت لأعرابي منا: ما البلاغة؟ قال لي: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل، قال ابن الأعرابي: فقلت للمفضل: ما الإيجاز عندك؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد[4]، ومما

---

١ منير سلطان، **الفصل والوصل في القرآن الكريم**، ط ٢ (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٧م)، ص ١٩١.

٢ الجاحظ، ج ١، ص ١٨.

٣ ، ص ٩٨.

٤ المرجع نفسه، ص ٩٩.

مدحوا به الإيجاز والكلام الذي هو كالوحي والإشارة، قول أبي دؤاد ابن حريز الإياديّ:

يَرْمُــونَ بِالْخُطَــبِ الطِّــوَالِ وتَــارَةً وَحْــيَ الْمَلاحِــظِ خَشْــيَةَ الرُّقَبَــاء[1]

فمدح كما ترى الإطالة في موضعها، والحذف في موضعه[2]، ونرى أن الجاحظ امتدح الإيجاز فقال: وإذا ترد إلى قليل تقنع[3]، ومن القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز من ملتقطات كلام الناس ما يُقوله بعض الناس: من التوقي ترك الإفراط في التوقي. وقال بعضهم: إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون، وقيل لأعرابي في شكاته: كيف تجدك؟ قال: أجدني أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد، وأنا في زمان من جاد لم يجد، ومن وجد لم يجد، وقال بعض النساك: أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو، وقال بعضهم: أعجب من العجب، ترك التعجب من العجب، وقال الأحنف لمعاوية: أخافك إن صدقتك، وأخاف الله إن كذبتك[4]. يتّضح مما سبق أن الإيجاز ألفاظ قليلة فيها دلالات جمة تبعد عن التكلف في قصر إيصال المعنى المراد للسامع، وما يُلاحظ من الأمثلة من أقوال الناس أعلاه يتبيّن وكأن النصوص جمل قصيرة ذات معانٍ كثيرة أشبه ما تسمى حكمًا وأمثالًا.

وتحدث الجاحظ في الإسهاب عندما علّق على قول إياس فقال: قال أبو الحسن: قيل لإياس: ما فيك عيب إلا كثرة الكلام. قال: فتسمعون صوابًا أم

---

١ يقصد بالبيت أن العرب طابقت الكلام بمقتضى الحال، فمدحوا الإطالة في مكانها، كما مدحوا الإيجاز في مكانه، ومقصد البيت أن العرب تارة يستخدمون الإيحاء، وتارة أخرى يوحون ويأتون بكلام سريع، كحال من ينظر إلى محبوبته بمؤخر عينيه خوفًا من الرقباء.

٢ الجاحظ، ج١، ص ١٤٣-١٤٤.

٣ المرجع نفسه، ص ١٤٣.

٤ المرجع نفسه، ١٨٢، ١٨٣.

خطًا؟ قالوا: لا، بل صوابًا، قال: فالزيادة من الخير خير، ويُلاحظ تعليق الجاحظ على ذلك فقال: وليس كما قال، للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه[١].

لم يعارض الجاحظ الترداد والتكرار والإطناب والإسهاب، إذ يقول: وجملة القول في الترداد: أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه. وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله تعالى ردد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة؛ لأنه خاطب الأمم جميعًا من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معاند مشغول الفكر، ساهي القلب، وأما أحاديث القصص والرقة، فإني لم أرَ أحدًا يعيب ذلك، وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيًّا، إلا ما كان من النخار بن أوس العذري، فإنه كان إذا تكلم في الحمالات، وفي الصفح والاحتمال، وصلاح ذات البين، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار، كان ربما ردد الكلام عن طريق التهويل والتخويف[٢]، وقد تدل العصا على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والإطالة وفي هذا المعنى[٣]، قال عبد الملك بن مروان: لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي[٤]. يتّضح مما سبق أن الاسهاب والإطالة في القول له ميزات لا يمكن تجاهل أثاره ودلالاته إذ من أغراضه التوضيح والشرح والتمثيل

١ الجاحظ، ج١، ص ١٠١.

٢ المرجع نفسه، ص ١٠٥، ١٠٦.

٣ محمد عبد البشير مسالتي، "الجاحظ في قراءات الدارسين المحدثين"، رسالة دكتوراه، جامعة سطيف (٢)، الجزائر، ٢٠١٣م، ص ١٧٥، ١٧٦.

٤ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٨٣.

وحاجة الموضوع المطروح إلى الإكثار من ذكر الشواهد عليه وغير ذلك، فالإسهاب فن لغوي لا يمكن تجاهله، ولا إنكار دلالاته التي يستفيد منها السامع.

٤. مقتضى الحال عند الجاحظ

في سياق تاوله مفهوم البلاغة وحملها على أكثر من معنى، اعتنى الجاحظ بـ"مطابقة الكلام مقتضى الحال" عناية فاقت غيره ممن سبقوه، أو عاصروه، وقد جعل لكل ضرب من الحديث شبيهه من اللفظ، وكذلك هو الحال بالنسبة إلى المعاني؛ إذ جعل لكلٍ منها نوعًا من الأسماء؛ "فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والإسترسال في موضع الإسترسال"[١]. وقد عدّ البلاغيون ذلك مقياسًا من مقاييس النقد والبلاغة، وذلك لأن الموقف الذي يقال فيه الكلام يؤثر أو ربما يحدد بعض جوانب الحكم على بلاغة الكلام.

وقد اهتم الجاحظ اهتمامًا بالغًا مسألتي اللفظ والمعنى وقضية النظم، وعدّ الكلام البليغ هو ما سبق معناه لفظَه. ولفظُ معناه، بمعنى ألا يكون أحدهما أسبق من الآخر. ويقول في ذلك: وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، فإذا كان المعنى شريفًا واللفظ بليغًا وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال، ومصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة، وكذلك ذهب إلى أن البلاغة تبرز من خلال المزاوجة أو الملائمة بين اللفظ والمعنى، وتتمثل في الأسلوب القوي المحكم، أو نظم الألفاظ التي يتطلبها المعنى على نحو يتيح لجوهر المعنى أن يبدو كاملًا واضحًا مؤثرًا، وقرر أن إعجاز القرآن هو تأليفه ونظمه[٢].

---

١ الجاحظ، الحيوان، ط، ٢، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٥)، ج ٣، ص ١٧.

٢ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٨٧.

وللجاحظ في الترادف رأي خاص يرى أن ليس هناك لفظ برادف لفظًا آخر مرادفة تامّة تشمل دلالته ومعناه، "وإذا كانت الألفاظ من واد واحد، فإن كلا منها يستقل بمرتبة من مراتب المعنى، ويدل على ظل من ظلاله، فألفاظ الشجاع والبطل والبُهْمَةُ والأليس – مثلًا – إنما هي ظلال متدرجة لمعنى الشجاعة من بدايتها إلى غايتها"[1]. وقد أورد الجاحظ أن لك بليغ أو قوم ألفاظًا بعينها يديرونها في في كلامهم، مهما كان علمهم واسع ومعانيهم غزيرة وألفاظهم كثيرة.

وأخيرًا، نرى أنَّ مقتضى الحال عند الجاحظ جاء في سياق اهتمامه بالبيان العربي وتأثره به، وعده مقدرة الشخص على إفهام مغزاه من الكلام تبيُّنًا وتبيينًا، وهذا ما جعله يطلق على كتابه اسم "البيان والتبيين". وقد لاقى الجاحظ بأفكاره وكتاباته قبولًا، وهذا دفع عددًا من المصنفين والعلماء اللغويين إلى الأخذ منه، أبرزهم؛ ابن قتيبة، وابن المعتز، والمبرد، والجرجاني.

الحقيقة والمجاز

تشير الحقيقة إلى الاستعمال والاستدلال الأساس لجوهر اللفظ، بينما يتعلق المجاز في استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الحقيقة، ويرتبط ذلك بالتصور حول التعبير وتوظيفه في صورة بيانية، ويمكن تتبع الدلالة في فنون البلاغة عبر الحقيقة والمجاز لاتصالها الوثيق بها، وذلك على النحو الآتي:

١.الدلالة في التشبيه

يرد التشبيه في الدرس البلاغي في مباحث علم البيان، مقدمًا على المجاز كونه ليس منه، وسبب تناوله في مباحث البيان المجازية؛ لعلاقته بالاستعارة التي تبنى على التشبيه، غير أن حقيقة الدلالة في التشبيه تكشف عن غاية مزدوجة، هي استعمال الالفاظ المفردة بدلالة حقيقية، واستعمالها مؤلفة بدلالة أخرى في

١ الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٢٢.

تشكيل الصورة التشبيهية. ففي قولنا: محمد كالأسد، نكون أمام لفظين (محمد) علم على إنسان و(الأسد) اسم على حيوان معروف، والدلالة هنا حقيقية، إلَّا أن المراد من هذا التركيب اللغوي معنى آخر، هو وصف محمد بالشجاعة بقرينة لفظية هي كاف التشبيه، وتأويل عقلي يمنع من إرادة الدلالة الحقيقية التطابقية، فالتشبيه في هذا السياق نوع من أنواع انحراف الدلالة كما هو الشأن في المجاز، ومن خصائص التشبيه الدلالية زيادته المعنى وضوحًا وتوكيدًا ومبالغة، فضلًا عمّا يفيده من الإيجاز والاختصار في الكلام. وكي يؤدي التشبيه تلك الأمور، لا بد من ملاحظة طرفين، هما: المشبه والمشبه به اللذين يقوم عليهما التشبيه لتحقق مستوى من الاتصال لا يبلغ درجة الالتحام والامتزاج بينهما، لأن التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد، وهنا لا بد من الإشارة إلى دور المبدع (الأديب)، الذي يعقد تلك الصور التشبيهية من خلال شعوره ووجدانه، فلا ينظر إلى الأشياء بذاتها كما تبدو في الخارج، وإنما ينقلها من خلال الشعور بها فيكون التشبيه عندئذ حدثًا لغويًا وعملية ذهنية عمادها التخيل وتصوير التجربة[١].

ولاحظنا أن التشبيه أسلوب بلاغي ذو أبعاد دلالية تزيد من جمالية النص وأبعاده اللفظية ومعانيه الضمنية، إذ يُشغل حيز لغوي كبير في علم الدلالة، كونه يجمع بين المتشابهات بطريقة تجعل أحدهما عقليًا والطرف الآخر معنويًا

١ سعاد شاكر شناوة، "المستوى الدلالي في الفنون البلاغية"، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربية**، مج ٦، العددان ٣، ٤، (٢٠٠٧م)، ص ١٠٥-١٠٧.

أو يساوي بين الطرفين فينتج إعمال عقل المتلقي؛ لإدراك دلالة ما رُبط بأداة التشبيه في قالب لغوي وتركيب لفظي يصحبه دلالات رمزية عميقة.

٢. الدلالة في الكناية

لا تنفصل الكناية عن مفهوم التعريض؛ لأن مرد الدلالة فيها إلى التصرف العقلي، فكلاهما يعتمد لازم المعنى، لا المعنى الظاهر، ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[الأنبياء: ٦٢، ٦٤]، يقول العلوي: أن المقصود هنا التهكم والاستهزاء بعقول القوم وعبدة الأصنام، وليس المقصود إسناد الفعل إلى كبيرهم؛ لأنه جماد[١]، وإنما المراد وصفهم بالجهالة، وهو معنى غير ظاهر، وإنما استدل عليه من قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾، وإذا كان ثمة فرق فمرده إلى السياق الذي يكشف عن المعاني التي يأتي إليها التعريض مثل الملاطفة والاستعطاف والتهكم وغيرها.

والتصرف العقلي الذي ينتقل من المعنى الظاهر غير المقصود إلى المعنى المستور من خلال علاقة اللزوم بينهما، في دلالة عقلية تعتمد سياقًا لغويًا، وهو ما يفهم من قول عبد القاهر: وإذا نظرت إلى الكناية وجدت حقيقتها ومحصول أمرها: إنها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول من دون طريق اللفظ[٢]، وهي على هذا الأساس تدخل ضمن المجاز وانحراف الدلالة، شأنها شأن الاستعارة وهو ما قرره عبد القاهر جاعلًا كل ذلك مجازًا

١ يحيى العلوي، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ج ٣ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ)، ص ١٨٩.

٢ عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ص ٢٨٦.

واتساعًا وعدولًا باللفظ عن الظاهر؛ على الرغم مما قيل من جواز إرادة المعنى الظاهر في الكناية، فهي ضرب من المجاز تشترك معه في إرادة معنى غير مباشر، يكون إمّا صفة معنوية نحو الكرم، والشجاعة، وغيرها أو معنى موصوفًا؛ نحو الإنسان، أو نسبة، وهو أن يُؤتى بالمراد منسوبًا إلى أمر يشتمل عليه من هي له حقيقة"[١]، ولاحظنا أن في الكناية بعدًا دلاليًا؛ لخروج اللفظ من معناه الذي وضع له يجعل السامع في جذب لفك شيفرة الدلالة المتواجدة في البناء اللغوي، إذ يخرج النص من معناه الظاهر المقصود إلى المعنى الضمني غير المباشر.

٣. الدلالة في المجاز

تؤكد البلاغة أن المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، لعلاقة بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له. أما المحدثون من علماء الدلالة مثل الدكتور إبراهيم أنيس فقد عرفوا الحقيقة والمجاز بأن الحقيقة لا تعدو أن تكون استعمالًا شائعًا مألوفًا للفظ من الألفاظ، وليس المجاز إلا انحرافًا عن ذلك المألوف الشائع. ومن شروط المجاز إعمال ذهن السامع، فهذا التعريف الحديث يربط المجاز بالجانب الوجداني والنفسي من جهة السامع أو القارئ، فضلًا عن عدّه العنصر الفردي في تحقيق الدلالة الحقيقية والمجازية، إذا كان اللفظ يثير في ذهن الفرد غرابة أو طرافة كان مجازًا، وإذا استعمل اللفظ استعمالًا مألوفًا شائعًا لدى الفرد كان حقيقيًا[٢].

وتكمن نقاط التحول في المعالجة عند المحدثين من علماء الدلالة في تناولهم قضية الحقيقة والمجاز من منطلق التغير الدلالي، فالمراد به هو تغير

---

١ شناوة، ص ١١١، ١١٢.

٢ نسيمة الحاج عبد الله، "الدراسات البلاغية وعلاقتها بعلم الدلالة دراسة في مفهوم المجاز"، **مجلة الدراسات اللغوية والأدبية**، العدد ١، (٢٠١٦م)، ص ١٨٦، ١٨٧.

معنى الكلمة على مر الزمن بفعل إعلاء أو انحطاط أو توسع أو انحسار أو مجاز أو نحو ذلك فيحدث هذا التغرير الدلالي من طرق متعددة؛ منها ما ينبع من التوليد اللفظي؛ مثل: الاشتقاق، والنحت، والتركيب، ومنها ما يتعلق بالتوليد المعنوي، مثل: تخصيص الدلالة، وتعميم الدلالة، وانتقال الدلالة. وتدعى هذه الطرق أيضًا بـ: أشكال التغرير الدلالي (أو) قوانين التغرير الدلالي (أو) مظاهر التطور الدلالي (أو) أعراض التطور الدلالي وما يهمنا هنا ما يتعلق بانتقال الدلالة، ويراد به الانتقال بالكلمة من معناها الأصلي إلى معنى آخر، بينه وبين المعنى الأصلي علاقة، أو أن ينتقل اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدلالتين، فيتضمن هذا الانتقال الدلالي طرائق شتى أطلق عليها البلاغيون العرب القدامى والمحدثون مصطلحات متعددة، منها: الاستعارة، والمجاز المرسل، وغير ذلك، ومن المهم أن يتفرع انتقال الدلالة من التغرير الدلالي لوجود العلاقة المجازية بين المعنى الأصلي والمعنى غير الأصلي، ويسمى هذا المعنى غير الأصلي للكلمة بالمعنى المجازي أي المحول عن طريق المجاز"[1]، ومما أورده الجاحظ في ذلك:

شَبَابُهُمْ وَشِيبُهُمْ سَوَاءٌ هُمُ فِي اللُّؤْمِ أَسْنَانُ الْحِمَارْ

وإذا أدركت تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي – صلّى الله عليه وسلّم– وحقيقته، عرفت فضل ما بين الكلامين[2]، وقال أبو الحسن: بينا هشام يسير ومعه أعرابي إذ انتهى إلى ميل عليه كتاب، فقال للأعرابي: انظر أي ميل هذا؟ فنظر ثم رجع إليه، فقال: عليه محجن وحلقة، وثلاثة كأطباء الكلبة، ورأس كأنه رأس قطاة، فعرفه هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابي، وكان عليه "خمسة"[3]،

١ المرجع نفسه، ص ١٨٧.

٢ الجاحظ، ج ٢، ص ١٤، ١٥.

٣ المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

ويُلاحظ من ذلك دلالة على ما أورد الجاحظ من حسن التشبيه، قال الكسائي: لقيت أعرابيًا فجعلت أسأله عن الحرف بعد الحرف، والشيء بعد الشيء أقرنه بغيره، فقال: تالله ما رأيت رجلًا أقدر على كلمة إلى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها منك[١].

يتّضح مما سبق أن للمجاز معنيين؛ أحدهما أصلي، وآخر غير أصلي، يفهمها السامع من مضمون التركيب اللغوي؛ ليكون من جماليات الدلالة اللغوية إعمال فكر السامع؛ لإيجاد المعنى غير الأصلي في النص؛ لأنه المعنى المراد من اللفظ، وهكذا يكن لعلم الدلالة أثره البالغ في تجميل اللغة، وتعميق المعنى، وترسيخ الفكرة، وتثبيت الأثر الرمزي في نفسية السامع وقيامه بربط النص بدوافعه.

النتائج والتوصيات

قدّم البحث كثيرًا من التحليلات التي تبيّن علاقة التراكيب بالقول البياني عند الجاحظ في كتابه **البيان والتبيين**، ومن أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليه البحث ما يلي:

أولًا– النتائج

٣. متانة العلاقة بين التركيب والقول البياني عند الجاحظ ودورها الفاعل في سبك نصوص الخطاب وتبليغ المقاصد؛ ما يضمن حيويةً في فهم رسائل الخطاب المنجز ومكوناته البلاغِيَّة.

٤. يركز المنهج الدلالي في وصف الدلالات الأصلية، وتتبع التغييرات التاريخية التي تلحق بجوهر التراكيب اللغوية، ويمثل ذلك النظرة الديناميكيِّة لحركة اللغة وتقاطعاتها عبر التاريخ والزمن ضمن مختلف الاستعمالات.

١ المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

٥. تحمل الألفاظ تمثيلات دلالية لها تجسيداتها ومضامينها النفسية في ذات المتكلم والمتلقي، ضمن تنوعات التوظيف البلاغي لمختلف أساليب العرض والإفصاح وبيان القول.
٦. أنَّ مقتضى الحال عند الجاحظ جاء في سياق اهتمامه بالبيان العربي وتأثره به، وعده مقدرة الشخص على إفهام مغزاه من الكلام تبيُّنًا وتبيينًا.
٧. تمثلت الخصائص اللغوية والبلاغية للأقوال البيانية وعلاقاتها بالتركيب اللغوي وغير اللغوي عند الجاحظ بالحذف والفصل والوصل والإيجاز والإطناب؛ فيؤثر ذلك في بيان القول وتبليغه وتوصيله.
٨. بيّن الجاحظ الخصائص اللغوية والبلاغية للأقوال البيانية واستخدمها في التمثيل والتصوير للجوهر اللغوي ومتعلقات مقامه وسياقه.
٩. ارتكزت الأقوال البيانية عند الجاحظ على توضيح الاستدلالات المنطقية للتركيب والتصورات التعبيرية من خلال الحقيقة والمجاز، وبيان أوجه الاستعمال البياني للتراكيب من خلال التشبيه والكناية والمجاز وما يتصل بهما من قضايا ومسائل.

ثانيًا- التوصيات

١. استجلاء معالم آليات التوصيل البلاغي في الأقوال البيانية وتأثير ذلك على تكوين استدلالات الجوهر اللغوي واستخدامات تصوراته في مختلف السياقات والمقامات.
٢. دراسة جهود الجاحظ في بيان مكونات الخطاب اللغوي وغير اللغوي في تطبيقات الكلام العربي وأجناسه.
٣. عقد أنشطة وفعاليات من محاضرات وندوات ومؤتمرات وملتقيات تبحث في العمق التخصصي لمقاصد الأقوال البيانية والبلاغية ودلالاتها التطبيقية في ضوء مستويات البحث اللغوي الحديث.

المراجع

الجرجاني، عبد القاهر. **أسرار البلاغة في علم البيان**. تحقيق عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

الجناجي، حسن. **البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع**. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦م.

الجاحظ، عمرو بن بحر. **البيان والتبيين**. ج ١. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م.

الجاحظ، عمرو بن بحير. **الحيوان**. ط ٢. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٥. ج ٣.

حسان، تمام. **مناهج البحث في اللغة**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م.

السعران، محمود. **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**. ط ٢. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.

سلطان، منير الفصل. **والوصل في القرآن الكريم**. ط ٢. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٧م.

شناوة، سعاد شاكر. "المستوى الدلالي في الفنون البلاغية". **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربية**. مج .، العددان ٣، ٤. (٢٠٠٧م). ص ١٠٥-١٠٧.

عبد الله، نسيمة الحاج. "الدراسات البلاغية وعلاقتها بعلم الدلالة دراسة في مفهوم المجاز". **مجلة الدراسات اللغوية والأدبية**. العدد .، (٢٠١٦م). ص ١٨٦، ١٨٧.

العلوي، يحيى. **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**. ج ٣. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ.

ابن فارس، أحمد. **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**. ط١. بيروت: منشورات محمد بيضون، ١٩٩٧م.

القزويني، الخطيب. **الإيضاح في علوم البلاغة**. تحقيق محمد خفاجي. ج .، ط ٣. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م.

مرشدي، كريم. "الرؤية البيانية عند الجاحظ". موقع ديوان العرب. ٢٠١٧/٩/١٠م. في:

https://www.diwanalarab.com

مسالتي، محمد عبد البشير. "الجاحظ في قراءات الدارسين المحدثين". رسالة دكتوراه. جامعة سطيف (٢)، الجزائر. ٢٠١٣م. ص ١٧٥، ١٧٦.

ابن المعتز، أبو العباس. **علم البديع**. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠.

الميداني، عبد الرحمن. **البلاغة العربية**، ج ٢. دمشق/ بيروت: دار القلم/ الدار الشامية، ١٩٩٦م.

الهاشمي، أحمد. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**. ضبط وتدقيق يوسف الصميلي. بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م.

فهرس محتويات البحث

م	المحتوى	الصفحة
١.	الملخص	٢٠٤٩
٢.	المقدمة والإطار النظري	٢٠٥٣
٣.	منهج الدلالة والنظرة الديناميكية للمفردات	٢٠٥٧
٤.	علاقة الكلام بتوصيل المضمون المنطقي والنفسي	٢٠٥٩
٥.	الرؤية البيانية عند الجاحظ	٢٠٦٠
٦.	الخصائص اللغوية والبلاغية للتراكيب في الأقوال البيانية عند الجاحظ	٢٠٦٢
٧.	الحذف	٢٠٦٢
٨.	الفصل والوصل	٢٠٦٤
٩.	الإيجاز والاطناب	٢٠٦٥
١٠.	مقتضى الحال عند الجاحظ	٢٠٦٨
١١.	الحقيقة والمجاز	٢٠٦٩
١٢.	الدلالة في التشبيه	٢٠٦٩
١٣.	الدلالة في الكناية	٢٠٧١
١٤.	الدلالة في المجاز	٢٠٧٤
١٥.	النتائج والتوصيات	٢٠٧٤
١٥.	المراجع	٢٠٧٦
١٦.	فهرس محتويات البحث	٢٠٧٨